

الخطاب اللساني الجزائري: دراسة في ضوء ثنائية التأصيل والتجديد.

Algerian linguistic discourse

A study in light of the duality of rooting and renewal.

عمار قلالة

مخبر الدراسات اللغوية والتطبيقية جامعة مسيلة
المركز الجامعي سي الحواس بركة (باتنة)omar.kelala@cu-barika.dz

إيمان شنه *

مخبر الدراسات اللغوية والتطبيقية جامعة مسيلة
المركز الجامعي سي الحواس بركة (باتنة)imane.chenna@cu-barika.dz

الملخص:

معلومات المقال

نسعى في هذه المداخلة إلى الوقوف على واقع الخطاب اللساني الجزائري ومظاهر الإبداع فيه، والهدف الأساس منها تقديم خريطة نرصد من خلالها أهم الأسماء التي تصدّت للكتابة اللسانية، وتحديد اتجاهاتهم ومساراتهم الإبداعية، وإعطاء تصور واسع متكامل حول البحث اللسانية في الجزائر، من خلال التركيز على عناصر أساسية هي: الموضوع المنهج، المصطلح. والنتائج المرجوة من هذه المداخلة هي التأكيد على التجديد في الطرح اللساني الجزائري سواء تعلق الأمر بالتراث اللغوي العربي وقراءته أو باللسانيات الحديثة وتلقي الدارسين العرب والجزائريين لمستجداتها، نتطرق بداية إلى:

- تحديد مفهومي الإبداعية، والخطاب اللساني.
- لمحة تاريخية لبداية الاشتغال باللسانيات في الجزائر،
- أبرز رواد الكتابة اللسانية في الجزائر واتجاهاتهم ومنجزاتهم.

ويكون هذا العرض وفق ما حدّد سلفا من مستويات تتعلق بالموضوع والمنهج والمصطلح

تاريخ الإرسال: 2023/10/28
تاريخ القبول: 2024/11/28

الكلمات المفتاحية:

- ✓ الخطاب اللساني الجزائري
- ✓ التأصيل والتجديد
- ✓ الخطاب اللساني

Abstract :

Article info

In this intervention, we seek to find out the reality of Algerian linguistic discourse and the manifestations of creativity in it. The aim of it is to present a map through which we monitor the most important names that dealt with linguistic writing, determine their trends and creative paths, and give a broad and integrated vision of linguistic research in Algeria, by focusing on basic elements. They are: subject matter, method, and terminology.

Received

Accepted

The desired results of this intervention are to emphasize the renewal of the Algerian linguistic approach, whether it is related to the Arabic linguistic heritage or to modern linguistics. We will first address.

- Defining the concepts of creativity and linguistic discourse.
- A historical overview of the beginning of work in linguistics in Algeria.

The most prominent pioneers of linguistic writing in Algeria, their trends and achievements.

This presentation will be in accordance with the previously

Keywords:

- ✓ Algerian linguistic discourse
- ✓ Rooting and renewal
- ✓ Linguistic discourse

1. مقدمة:

ترجع اهتمامات الجزائريين باللغة العربية وحقوقها إلى سنوات وقرون ماضية، ضمن ما ألقوه من مصنفات متنوّعة، في إطار الفكر اللغوي العربي، والتي لازال البحث يطالعنا بجديد اكتشافها وإخراجها وتحقيقها كل يوم، وعلى الرغم من هذا الغنى بالمعارف اللغوية، إلا أن الاهتمام باللسانيات حقلا علميا حديثا قد تأخر نسبيا بعد سنوات من ظهور هذا العلم في أوروبا وانتشاره في مختلف أنحاء العالم، كان لهذا التأخر ما يبرره من الناحية التاريخية والمعرفية، فقد أحس المشتغلون بالعربية كفايتهم واكتفاءهم بما يمتلكون من معرفة لغوية ومن أدوات فهم اللغة (المسدي، 1974، صفحة 3)، فكانت فكرة كمال التراث بما يحتويه عاملا قويا في رفض اللسانيات وربما رأى بعضهم عدم جدية وفاعلية ما تقدمه المعرفة اللسانية الجديدة (بكوش، 2004، الصفحات 19-20)، وقد يُردّ هذا التأخر إلى التوجس من هذا العلم ذي الخلفية المعرفية الفرنسية ولا يخفى على أحد الظروف الاستعمارية وتأثيرها على ميادين الثقافة واللغة والدين والهوية في الجزائر، خاصة أن الاستشراق قد سبق في ظهوره إلى اتخاذ العلم وسيلة لغايات استعمارية، فكان العزوف عن معرفة اللسانيات وفهمها والأخذ بها، وكان هذا التمسك والانغلاق على الماضي مشتركا منهجيا معرفيا بين أقطار الوطن العربي جميعه، لم يطل الأمر فبعد عقود قليلة وبفضل حركة الترجمة وأفكار الطلبة العرب في الجامعات الأوروبية، وما قدّمه المستشرقون بدأت بوادر الانفتاح تتجلى في فهم اللسانيات وتطبيق مناهجها ومقارباتها على دراسة العربية لغة وتراثا معرفيا لغويا (علوي، 2009، صفحة 42). وللشرق في هذا أسبقية معروفة غير منكورة.

على الرغم من صعوبة تحديد بداية تلاقي الفكر العربي بالغربي وانتقال الدرس العربي من مرحلة التفكير اللغوي التراثي إلى مرحلة الدراسة اللسانية، فإنه يمكننا القول أن تدريس

اللسانيات في الجامعة الجزائرية كان سابقا لنظيراتها في الدول العربية، في سنة ألف وتسعمائة وثلاثة وثلاثين، 1933 وعلى يد المستشرق جان كاثينيو، وتحت مسمى علم اللغة دخلت اللسانيات جامعة الجزائر لأول مرة، أما البدايات الفعلية للأسماء الجزائرية فترتبط مباشرة بتأسيس الدرس اللساني في الجزائر مع الدكتور عبد الرحمان حاج صالح عبر محطتين: الأولى تأسيس معهد العلوم اللسانية والصوتية بموجب منشور 30-66 في 11 أبريل سنة 1966، و إصدار مجلة اللسانيات التابعة له، والثانية تأسيس مجمع اللغة العربية الجزائري بموجب القانون رقم 86-10 في 19 أوت 1986م (بجياتن، 1971، صفحة 50) وهما الخطوتان اللتان كان لهما الفضل في بلورة الأفكار اللسانية الحديثة وتقديمها للباحثين.

أدى الاهتمام باللسانيات والمناهج الحديثة إضافة إلى ما درج عليه البحث التقليدي في اللغة إلى وجود نمطين من الدراسات في اللغة، النمط الأول تقليدي محافظ متمسك بالموثوق حدّ التقديس يرى به صفات الكمال والاستغناء عما سواه، والثاني مجدد يرى في الوافد الجديد دوافع التغيير والبحث المشفوعة بآلياته ووسائله، الأمر الذي فرض تنوعات واختلافات في المشهد اللساني ألقّت بظلالها على البحث اللساني واللغوي الذي بدا جليا في تنوع الدراسات الجزائرية معرفيا ومنهجيا، وهو ما نصطلح على تسميته بالخطاب اللساني.

2. تعريف الخطاب اللساني

يمكن أن نعرف الخطاب اللساني على أنه كل كلام علمي يتناول الظاهرة اللغوية أو موضوعا من موضوعاتها عبر خطوات منهجية دقيقة مضبوطة، بهدف فهم الظاهرة المدروسة والكشف عن أسبابها وعلاقتها والوصول إلى نتائجها، والخطاب اللساني كما يصفه الدكتور بشير إبرير خطاب موضوعه ومادته اللغة، يتخذ المنهج العلمي سبيلا لبلورة طروحاته، ويعتمد أدواته

وآلياته في البحث عن إجابات لإشكالياته (إبرير، 2001، صفحة 87).

شكّل الخطاب اللساني الجزائري لنفسه سمة متميزة عن غيره من الخطابات اللسانية العربية في تناوله للقضايا اللغوية سواء التراثية أو الحديثة، انطلاقاً من احتوائه لأكثر من موضوع ومنهج، فهذا التنوع في نظري كان مظهرًا إبداعيًا خاصًا في المنجزات اللسانية الجزائرية، سمح بتنوع أدوات البحث وغنى المدونات والموضوعات والمصطلحات والمفاهيم، وتوسيع البحث وإحاطته بكل جوانب الظاهرة اللغوية الكائنة والممكنة، ويمكن أن نقول إن تعامل اللسانيين الجزائريين مع كل المعطيات اللغوية - سواء تعلق الأمر بالتيار التراثي المحافظ أو التيار المجدد - اتسم بالتجديد وهنا يكمن الإبداع، الابداع الذي يمكن أن نصفه بأنه خاصية هامة في الخطاب اللساني الجزائري الذي عرف التجديد، التجديد في تناول التراث وبعثه، والتجديد في تقييم وتقديم العلوم اللسانية الحديثة والتجديد في تطبيقها على اللغة العربية والاستفادة منها في مختلف الميادين المتصلة باللغة، والتجديد في تأصيلها في التراث العربي، كل هذه السمات وغيرها شكلت فسيفساء إبداعية لسانية جزائرية فلا يمكن أن نحصرها ضمن توجه واحد، ولا يمكن القول بتقليدها وتكرارها للاتجاهات اللسانية المجاورة والإقليمية.

يمكن أن نُصنّف ضمن الخطاب اللساني الجزائري كل ما أنتجته المشتغلون في حقل اللغة واللسانيات ابتداءً من تاريخ تأسيس عبد الرحمن حاج صالح لمعهد العلوم الصوتية واللسانية، ويشمل هذا الخطاب المؤلفات والمحاضرات الجامعية والمقالات والبحوث والمداخلات ويمكن أن يتعداه إلى توجيهات اللسانيين للباحثين ضمن الأطاريح والبحوث ومشاريع البحث الأكاديمية شرط أن تتعلق كل هذه المنجزات باللغة ودراستها ويكون المنهج العلمي منهجها، أي اعتبار ثنائية الموضوع والمنهج هي التي تحدد الكتابات اللسانية من غيرها.

1.2. تحولات الخطاب اللساني الجزائري:

شهد الخطاب اللساني الجزائري تطورًا بارزًا عبر مرحلتين، ولّى الباحثون وجوههم في أول الأمر شطر الشرق وجامعاته،

فقد كانت الجسر المعري الذي يصلنا بالمعرفة. وبوابة اللغويين نحو العلوم اللغوية، سواء ما تعلق بالتراث اللغوي. أو الأفكار الجديدة المنقولة ضمن المرحلة التمهيدية الأولى، أو إعادة وصف العربية ضمن الجهود الأولى للسانيين العرب، كان احتكاك الجزائريين بالدرس اللغوي العربي القديم، والغربي الجديد بواسطة ما تم نقله من المعارف مَشْرِقِيَّة التَّكْوِين، كَوْنُ السَّبْقِ التَّارِيخِيِّ كان لعلماء الشرق في المشهد الثقافي والعلمي اللغوي، وتأخر أهل المغرب العربي لظروف إستعمارية معروفة، فلا تكاد تجد من المشتغلين باللغة أحدًا إلا وكان ممن نهلوا من جامعات الشرق وجوامعهم، وظهر هذا جليا في الخطاب الأكاديمي الأول وإن كانت سمته الشفوية إلا أن مظاهر التأثير كانت صفة العائدين من جامعات الشرق، واستمرّ الوضع على حاله من اعتبار الخطاب اللساني الجزائري امتداداً للخطاب المشرقي بصورتيه التراثية والحديثة، حتى اشتد عود البحث الأكاديمي في المغرب العربي والجزائر خصوصا بعد الاستقلال، وتشكلت رؤى بحثية جديدة، اعتمد الأساتذة فيها على أدواتهم المعرفية خاصة معرفتهم العميقة للغات الأجنبية فكان الانفتاح المباشر على مصادر المعرفة اللغوية العربية القديمة والغربية الحديثة، فكان الاتصال المباشر بالمعرفة ومصادرها منعطفًا هامًا انتقل فيه الخطاب الجزائري من التقليد إلى الإنتاج والتجديد، وهذا ما نصّفه بالإبداعية في الخطاب اللساني الجزائري وهي التي عرفت بالتّقدُّم اللساني.

3. الإبداعية في الخطاب اللساني

الابداعية هنا مرادفها إلى طريقة وأسلوب تناول مواضيع البحث والتجديد فيها موضوعا ومنهجًا، وفق ثنائية الأصالة والمعاصرة، ويمكن أن نُحدِّد مواطن البحث والابداع في :

- دراسة الظواهر اللغوية .
- تقييم الدراسات اللغوية السابقة .
- تقديم المعرفة اللسانية الحديثة .

أما نعيه بالأصالة ليس لبس عباءة القديم، وما نعيه بالتجديد ليس خلع الأصيل ورميه وقبول الغريب، إنما الإبداع في التنقيب عن القديم وإحيائه وتمحيصه وتنقيته مما يشوبه

إثبات أصول الدرس النحوي العربي مثل العامل والتعليل النحوي وغيرها من خلال دفاعه عن أصول الدرس اللغوي العربي ضد انفتاح الوصفيين المخيل بالتراث، مؤكداً أن التعليل من مميزات وأسس المنهج العربي وضروريات المعرفة العلمية، شأنه في هذا شأن الملاحظة والوصف تأكيداً على علمية المنهج العربي في البحث اللغوي في وجه اتهامات الحداثيين للدرس العربي بالفوضى والبعد عن المنهج، وتحاور البحث اللساني الجزائري إعادة قراءة التراث النحوي إلى إعادة صياغته على نحو ما وضع الدكتور حاج صالح في النظرية الخليلية.

ولا يخفى على أحد تميز الأفلام الجزائرية في مجال النقد اللساني، فقد اتسم البحث اللساني الجزائري بالجدة والجدية وعدم تقبل الأبحاث السابقة دون تمحيص النتائج، ومن الدراسات الجديدة والمفيدة تلك المتعلقة بتتبع مواضيع الدرس التراثي وامتدادها في الدرس الحديث، على نحو ما فعل الدكتور عبد الرحمان حاج صالح، فهنا يتعلق الأمر بالانطلاق من الحاضر نحو الماضي، ولعل للجزائريين في هذا أيضاً فضل سبق جنباً إلى جنب مع أهل تونس والمغرب في تأسيس تيار لساني نقدي لمراجعة ما أفرزته المرحلة اللسانية الأولى من نقد نظرية النحو التي أخلت بالمنجز العربي ومما كتب عبد الرحمان حاج صالح فيها :

- بحوث ودراسات في اللسانيات العربية.
- الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية.

نشير كذلك إلى كتاب لصالح بلعيد في هذا المجال أيضاً بعنوان مقالات لغوية.

ومن هذا التجديد في الخطاب اللساني أيضاً الساعية لتأصيل مواضيع اللسانية الحديثة في التراث اللغوي القديم لبيان إلمام العرب بمختلف قضايا اللغة وإحاطتهم بها كما يظهر هذا في: أعمال عبد الجليل مرتاض في التأصيل لفكرة مناهج البحث اللغوي في التراث اللغوي العربي القديم بالأدلة الثابتة من بطون المصنفات العربية ودحض مقولة افتقار العرب للمنهج في البحث خاصة منهج البحث المقارن الذي كثيراً ما اتهم العرب

والإبداع في الجديد هو التثبت من صحته والتروي في الأخذ به وانتقاء ما يُفيد، وردّ مآلاً طائلاً منه، والحقيقة أن هذا التميز لم يتأتى لغير الجزائريين إلا قليلاً، ولم يكن تميز الجزائريين في هذا عن صدفة أو مجرد رأي مائل مميل، إنما كان مظهرًا من مظاهر تنوع الثقافات وتعدد اللغات في الجزائر، واهتمامهم باللغة العربية وإجادة اللغات الأجنبية، وقربهم من المؤثرات الأجنبية ثقافةً ولساناً، ما سمح لهم بالاطلاع المباشر على الجديد والصحيح من المعارف من منابعها الاصلية، مفيداً هنا من المرجعيات المعرفية المتعددة، وتنوع الأدوات والآليات التي سمحت لهم بتكوين نموذج جزائري متفرد ضمن البعد المغاربي .

برز في مجال الكتابة اللسانية كما أشرنا توجهاً اثنان إن لم نقل أن ثالثهما كان توجهاً توفيقياً بينهما، الأول تيار ينتصر للتراث يغوص به يستخرج درره، وثانيهما تيار ينزع للتجديد، وبين هذا وهذا تيار ممسك للعصا من وسطها يأخذ من الجديد ليخدم القديم، يستعين به على إثبات فاعليته واستمراره، وسنعرض لأسماء منهم ونماذج من خطاباتهم ضمن الدراسة.

ارتأينا بداية أن نُصنّف الإبداع على مستويات الموضوع والمنهج والمصطلح وفق ثنائية التراث والحداثة لتحدّد مظاهر الإبداع بدقة ونلتمسها.

1.3. الإبداع على مستوى الموضوع:

تنوعت المواضيع التي نالت نصيباً من الاهتمام والمناقشة ضمن الخطاب الجزائري ويمكن أن نصنفها ضمن نوعين أساسيين.

أ. لسانيات التراث:

اهتم المشتغلون بحقل اللسانيات بالتراث اللغوي العربي اهتماماً بالغاً إدراكاً لقيمتها في الدراسات اللغوية وتثميناً لجهود السابقين والجميل أنه كلما درسوه أو غلوا وأمعنوا في الدراسة لثبات يقينهم بما يحويه من نفائس في البحث، تنم عن صناعة متينة وتقاليّد بحثية راسخة تستحق الكشف عنها لتأخذ مكانتها العلمية، فكان التجديد في فهم المواضيع التراثية، وإعادة قراءتها وفهمها لبلوغ مقاصد علماء العربية الأوائل ولا أوفى عن هذا الموضوع من جهود الدكتور عبد الرحمان حاج صالح في

الجزائري مخطوطا ومطبوعا وهو العالم الجليل الذي أبدع مصطلح المدارس الصرفية مقابلا للمدارس النحوية ومن أهم ما صنف البوعناني:

- المصنفات اللغوية للأعلام الجزائريين عبر القرون
- التصريف لدى علماء الجزائر، وصلته بالمدارس الصرفية

ب. لسانيات معاصرة:

وتدور في عمومها حول نقل المعرفة الغربية إلى الثقافة العربية، وإعادة قراءة ما نقل سابقا لتمحيصه وبيان صحته وصحة مفاهيمه خاصة مع ما أثير من أزمة المفاهيم وفوضى المصطلحات والترجمة، وقد كان لهم التميز حقا في هذا المجال من خلال تمكنهم من اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية ولعل أهم ما يذكر في هذا الباب جهود الطيب دبة في كتابي مبادئ اللسانيات البنيوية واللسانيات واللغة العربية ومختار زواوي من خلال مؤلفه المعنون بـ "مسائل في اللسانيات وعلم العلامات قراءة في نصوص فردينان دو سوسير" ومنه أيضا جهود علد الجليل مرتاض في هذا المجال مثل:

- الظاهر والمتخفي في النقد اللساني بين الإبداع والتلقي.

كتابا التواتي بن التواتي اللذان بعنوان .:

- المدارس اللسانية في العصر الحديث ومناهجها في البحث

- مفاهيم في علم اللسان.

وهما منجزان مهمان في إعادة قراءة الفكر البنيوي وتقديمه للقارئ العربي وفق أسس معرفية سليمة، حيث قدم الاثنان تصحيحات جوهرية لأفكار سوسير بعيدا عن المغالطات والاهام التي سرت سابقا بسبب قصور القراءات، وضعف الترجمات وتضارب المفاهيم والمصطلحات.

ومن أهم ما اشتغل عليه اللغويون في الجزائر هو دراسة اللغة العربية مباشرة بتطبيق النظريات اللسانية الحديثة حتى دون الاحتكام للتراث اللغوي فالاهتمام هنا منصب على المصادر

بعدم معرفتهم للغات وغياها عن الدرس القديم وهذا ما حملته مؤلفات عبد الجليل مرتاض منها على سبيل المثال لا الحصر:

- في مناهج البحث اللغوي.
- مباحث لغوية في ضوء اللسانيات الحديثة.

وكان قد تجاوز فيهما الحديث عن المنهج الى مبادئ هذه المناهج وأسسها في حد ذاتها كالتفريق بين اللغة والكلام واللسان وجوهره من خلال إسقاط نتائج الدراسات الحديثة على التراث العربي، حيث ينطلق الباحث من الحاضر ليعود للماضي لاستقرائه، فكان الموضوع هنا هو المنهج في حد ذاته، أضف إلى هذا تطوير البحث وتنويعه بتقديم العلوم الجديدة المؤصلة في الفكر العربي مثل:

- التداولية عند العلماء العرب لمسعود صحراوي
- لحظة ميلاد التداولية نظرية الأفعال الكلامية مسعود صحراوي.

وفي التداولية أيضا جهود خليفة بوجادي التأصيلية في كتاب:

- في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم.

ومن المهم جدا التنبيه إلى المنحى الذي اتخذته البحث الحديث من إعادة الاعتبار للتراث اللغوي الجزائري، وتبسيط الضوء عليه وتبيين دوره في خدمة العربية جنبا إلى جنب مع ما يقابله في الشرق، وربما كان هذا لوحده كفيلا بالحكم على إبداعية هذا الخطاب، فالتعامل مع مخطوطات مفقودة وغير منقحة ومحقة وإثبات أهميتها ليس بالعمل السهل حقا، مثل أعمال ابن معطي الزواوي ومصنفه الدرر الألفية، ولا بد هنا منا ذكر أعمال شيخ المؤرخين أبي القاسم سعد الله في:

- كتاب تاريخ الجزائر الثقافي
- وكتاب أعيان من المشاركة والمغاربة

• إضافة الى موسوعة علماء الجزائر في النحو والصرف التي وضعها د نجاة حسين وفاطمة عبد الرحمان، وقد لا يسعنا المجال لذكر أعمال الدكتور المختار بوعناني في جمع وتحقيق التراث اللغوي

اللغوية نفسها ومن هذا نذكر ما وضعه عبد الجليل مرتاض في كتابه:

• الوظائف النحوية على مستوى النص: وهو تجربة رائدة في تطبيق مفاهيم السانتاكس الغربي على اللغة العربية.

- دروس في اللسانيات التطبيقية: من مؤلفاته في مجالات اللسانيات التطبيقية والذي يعتبر مرجعا مهما في الجامعة الجزائرية والمتسم بالأسلوب الواضح الرصين، .
- في الهوية الوطنية
- في الأمن اللغوي .

وهما المؤلفان الذان ناقش فيهما ظاهرة التعدد اللغوي في الجزائر وسبل التعايش السلمي بين اللغات ، وهو رغم الاعتراف والاحترام للتعدد لا يخفي دفاعه عن العربية وعمله الدؤوب من أجل استرداد مكانتها الواجبة له إضافة إلى جهوده في المجلس الأعلى للغة العربية الذي يتأسسه، من خلال مجلة المجلس مجلة 'اللغة العربية' وملتقيات المجلس التي تنوعت لتشمل كل ما يشغل البحث اللغوي واللسانيات واللغة العربية والسياسة اللغوية الجزائرية وحقول التعليمية.

وما أثاره اللسانيون في الجزائر أيضا قضايا اللهجات التي فرضت نفسها في البحث اللغوي الحديث وأصبح الاهتمام بها مساويا للغة، سواء تعلق الأمر باللهجات البربرية أو اللهجات العربية في الجزائر أو الأقطار العربية الأخرى المتداولة حاليا أو القديمة، فالبحث اللغوي في الجزائر قطع أشواط كبيرة في هذا المجال، نجد هنا أعمال عبد الجليل مرتاض في عدد من المؤلفات مثل

- تراكيب لهجية جزائرية في ظل الفصحى دراسة مقارنة
 - دراسة لسانية في السامية واللهجات العربية القديم
- المميز هنا تنوع اللغات التي تمت دراستها من دراسة السامية ولهجاتها القديمة، والعربية ولهجاتها في الجزائر واللهجات البربرية تحت مظلة الأمازيغية فالثابت هو استثمار الجزائريين لكل وسائل البحث اللغوي ومواده من خلال تنوع المدونات .

تعتبر التعليمية أهم حقول اللسانيات التطبيقية لارتباطها المباشر بميدان التربية والتعليم لهذا لاقت اهتماما رحبا من اللسانيين ممن انخرطوا بجهودهم في خدمة المجتمعات، وربما نذكر

ج - لسانيات تطبيقية:

سمح التنوع اللغوي واللهجي في الجزائر بتشكيل أرضية خصبة قوم عليها البحث اللغوي في شقه النظري كما في شقه التطبيقي، خاصة وقد اتصل هذا التنوع بحياة الافراد والجماعات تأثيرا وتأثرا فأصبحت قضية التعدد من القضايا المهمة في اللسانيات بحثا وتطبيقا خصوصا مع بروز بعض التوظيف غير العلمي لقضايا التعدد اللغوي

تأخر تناول هذه القضايا والمواضيع في رأيي تجنباً لإثارة أي شكل من أشكال التجاذبات غير العلمية النبيلة وتفاديا لوقوع أي اختلافات قد تتجاوز الطرح العلمي في الساحة الاجتماعية أو السياسية وما يعزز هذا الطرح هو عدم انخراط اللغويين في مشروع اللهجات الذي أطلقه جان كانتينو إبان الحقبة الاستعمارية، ما يؤكد على وعي الطبقة المثقفة وحرصها على عدم الانسياق خلف المشاريع المشبوهة دون تثبت الغايات والسبل، لكن المؤكد انه السبب الرئيس أيضا والضرورة الملحة التي فرضت على اللسانيين وضع الامر في إطاره البحثي الاكاديمي والاجتماعي الطبيعي من اعتبار التعدد ظاهرة طبيعية لا تشكل سببا للصراع إنما مظهر للتكامل، فكان من اللازم للعلم ان يقول كلمته في هذه المواضيع ويضعها ضمن أطرها الصحيحة بعيدا عن المزايدات فكان اللغويين تجنبوا الخوض في الصراع لكنهم وجدوا ان جهودهم ضرورية لبقاء الاهتمام باللغة ضمن الأهداف العلمية .

من المهتمين بهذا الموضوع على مستوى اللغات صالح بلعيد ومجمل جهوده في وضع خريطة لغوية جزائرية تؤصل للتعدد اللغوي الطبيعي وفق مبدأ التكامل والتفاعل واعتبار التعدد

من نقد الوصفية التي تبعد التعليل في دراسة اللغة بينما يقوم النحو العربي على فكرة التعليل (6) ومثله وضع اللفظ معناه أن المنهج العربي القديم قائم على التعليل المجاوز للوصف وهو مما تنبه له عبد الرحمان حاج صالح في كتابه: .

• بحوث ودراسات في علوم اللسان.

فالتفكير اللغوي العربي تفكير مختلف عن النمط اللساني الحديث ومنه فتطبيق المناهج الغربية الحديثة حكم بالفوضى على التراث العربي، وفي رأيي إن تطبيق نفس المناهج قد لا يفضي لنتائج دقيقة فمناهج البحث الجديدة توطر لقوانين عامة لما تشترك فيه اللغات الانسانية بينما ما يحكم اللغة العربية تدرج ضمن اللسانيات الخاصة فلكل لغة نظم تختص بها بعيدا عن المشترك بينها وبين بقية اللغات (حاج صالح، دت، الصفحات 29-30).

وفي إطار آخر كانت فكرة المنهج حاضرة في الدرس الحديث الجزائري من خلال التأصيل لفكرة المنهج في التراث وقد سبقنا إلى ذكر بعض النماذج من أعمال الدكتور عبد الجليل مرتاض والدكتور مسعود صحراوي، والتي تهدف إلى بيان معرفة العرب للمناهج واعتمادهم لها خصوصا لما نجد مقاربة نتائجهم لنتائج البحث الحديثة، الأمر الذي يثبت اتباعهم خطوات علمية مضبوطة، فلا يعقل أن تكون الصدفة عاملا لصحة النتائج.

ب - مناهج معاصرة:

المقصود بها هي المناهج الجديدة الوافدة ضمن اللسانيات الغربية وهي الوصفية والتاريخية والمقارنة وغيرها وقد كان لها الاثر البارز في تشكيل دراسة العربية وعلى مختلف المستويات سواء العربية القديمة أو المعاصرة، تنوعت مناهج الدراسة المعتمدة في الدراسات اللسانية الجزائرية، فلم تكن الخطابات الجزائرية تيارا بحثيا واحدا إنما تنوعت أساليب البحث اللغوية بين دراسة تاريخية ومقارنة، وتوليدية تحويلية، ومما يذكر هنا دراسة قيمة للدكتور شريف ميهوبي بعنوان

• تطور الفعل الرباعي في اللهجات العربية القديمة مقارنة بأخواتها الساميات

هنا جهود الدكتور بشير إبرير في التعليمية من خلال كؤلفاته، ومنها :

• كتاب "تعليمية النصوص بين النظرية والتطبيق".

"تعليمية النص الأدبي"

ومن جميل ما كتب أيضا التأصيل للتعليمية في التراث العربي من خلال كتاب

• مفاهيم التعليمية بين التراث والدراسات اللسانية

ونلاحظ هنا تعدد زوايا المعالجة لكل موضوع من خلال الإحاطة به تراثا وحدائث نظريا وتطبيقا .

2.3. الإبداع على مستوى المنهج:

شكل البحث اللساني في الجزائر تميزا من خلال اعتماده ثنائيي التراث والمعاصرة في دراسة اللغة العربية وقضاياها، فتتبع أدوات البحث كان لها التأثير المباشر على تنوع النتائج وإحاطتها بمختلف القضايا من خلال الامام بكل زوايا البحث ويمكن أن نبلور تصوراتنا في ثنائيتين

أ - مناهج التراث :

ربما لم تتضح بعد فكرة المنهج في التراث، ولازال سؤال المنهج في الدرس التراثي يطرح نفسه في تصورين اثنين:

- ما المنهج الذي اعتمده العلماء العرب الأوائل في دراسة اللغة؟

- ما المنهج الأنسب لدراسة اللغة العربية وهل نستطيع الاعتماد على المناهج الحديثة في الدراسة وما مدى فاعليتها؟.

في خضم هذه الاسئلة يصير الدكتور عبد الرحمان حاج صالح على طرح ضروري وهو دراسة التراث بمنهج تراثي أي الانطلاق من التراث لفهم التراث وفي هذا الإطار تستمر البحوث لفهم المنهج الذي استعمله العرب من خلال قراءة المتن اللغوي لتجاوز ما يصطلح عليه أزمة المنهج في دراسة التراث التي لا يرى الدكتور عبد الرحمان حاج صالح لها حلا إلا استنطاق التراث لفهم أدواته، فقيمة النتائج المعرفية اللغوية العربية ليست وليدة الصدفة أو العبث إنما هي نتاج منهج دقيق مضبوط، ومما طرحه الدكتور حاج صالح في كتابه النظرية الخليلية الحديثة هي فكرة التعليل وهي فكرة مهمة انطلق فيها

ودراسة أيضا للدكتور عبد الرزاق دوراري:

- مدخل إلى النحو التفرعي التوليدي.

والملاحظ هنا هو توسع الجزائريين من الباحثين في استخدام

مختلف المناهج وعلى مستويات لغوية مختلفة

لم يكن التلقي الجزائري للمنهج تلقيا سلبيا فقد اتسمت رؤياهم للمنهج بالتمحيص والتحقق من أدواته وفعاليتها والتأكد من فائدتها في دراسة العربية فقد أكد الدكتور عبد الرحمان حاج صالح أن هذه المناهج في أغلبها لا تصلح لدراسة العربية لأنها لا تراعي في أحيان كثيرة خصوصية العربية وقد اتسم الخطاب اللساني بالحذر وعدم الانسياق خلف كل الفرضيات والطروحات والعقلانية في الموازنة بين القديم والحديث.

3.3. الإبداع على مستوى المصطلح:

رسمت الكتابة الجزائرية في اللسانيات لنفسها ملامحها الخاصة فتميزت بتنوع المناهج والمواضيع وتجاوزت هذا إلى الإبداع والتميز على مستوى المصطلح حتى شكلت مدرسة خاصة.

تنوع المصطلح الجزائري اللساني تبعا للمرجعيات المعرفية فكان تأثيرها واضحا في وضع المصطلحات، وفي اختلافها أيضا.

ويمكن أن نحدد أهم الاتجاهات في نقاط هامة نعرضها من خلال أهم تجربتين في وضع المصطلح وهي تجربة الدكتور عبد الرحمان حاج صالح والدكتور عبد الجليل مرتاض.

أ - بحث وإحياء مصطلحات تراثية:

كان اختيار المصطلح ووضعه إزاء معاني ومفاهيم معينة في البحث اللغوي من الاشكالات الهامة التي تعددت فيها الاتجاهات ومن ضمن هذه الاتجاهات انتقاء اللفظ والمصطلح المعروف السابق في إطار المحافظة على الارث الاصيل العربي، والرأي لهؤلاء أنه مادامت العربية تكفل هذه المفاهيم من الناحية الاصطلاحية فالأولى استعمالها عوضا عن اقتراض غيرها وتجنبا لوضع الجديد غير الملائم أو الفوضوي، فنتجه بعض الاسماء في مجال الكتابة اللسانية إلى التنقيب عن المصطلحات التراثية المناسبة للمفاهيم الحديثة أو المحافظة على المفاهيم القديمة

بمصطلحاتها التي عرفت بها، واعتمادها ليس مجرد عملية بسيطة من البحث والانتقاء إنما يتعلق الأمر بالتمحيص الدقيق وتوظيف المصطلحات توظيفا صحيحا كأسس علمية مضبوطة (الأخضر، 1987، الصفحات 7-37).

ومن الإحياء أيضا اشتقاق المصطلحات اعتمادا على مفاهيم تراثية ومنها : الاغماس اللغوي، المنشأ اللغوي، الوضع (يعبوش، 2020، ص 1151، 1150)

ولا يتعد الأمر عن الهدف الأسمى الذي هو التمسك باللغة الأصيلة وبقاء حيويتها والحيلولة دون الإندثار الثقافية العربية الصحيحة، فتحدث القطيعة بين ماضي الامة وحاضرها ومستقبلها، ومن أهم ما أفادنا استقراء التاريخ هو العثور على مفاهيم مهمة في إطار البحث عن المصطلحات التراثية (البهنساوي، 1994، صفحة 30)، تعد المصطلحات التراثية سدا منيعا أمام انتشار الفوضى الاصطلاحية سواء عبر الترجمة أو الوضع، ودرة للخطأ في نقل المفاهيم (البهنساوي، 1994، صفحة 30)، وهذا الاتجاه من الاتجاهات المهمة في المدرسة اللسانية الجزائرية ولاشك ان الدكتور عبد الرحمان حاج صالح رائد هذه الأفكار في العالم العربي بامتياز، من المصطلحات التراثية في الكتابة اللسانية الجزائرية والتي كان الفضل لأساتذة الجزائر في إحيائها الوضع والاستعمال عند عبد الرحمان حاج صالح في مقابل اللغة والكلام عند سوسير (حاج صالح ع، 2013، صفحة 12).

ومن المصطلحات أيضا: القياس، الاصل، الفرع، الباب (بن عمران ، 2021، الصفحات 107-108) وهي مما أحياه عبد الرحمان حاج صالح ووجدت قبولا حسنا عند الباحثين وجريانا على السنتهم .

ب - التجديد في استعمال المصطلح الغربي :

أكثر ما نلمح في هذا الشأن كتابات عبد الجليل مرتاض المتنوعة ولعل من أهمها:

- القاموس الوجيز في المصطلح اللسان

مصنف مهم تنوعت فيه المصطلحات بين النحت والترجمة والوضع والتعريب.

• الخطاب اللساني الجزائري خطابٌ مجددٌ ف اتجاهيه الحداثي والتراثي، جدد في فهم التراث وتنقيته من التشابه والضعف والتكرار، جدد في فهم منهج الدرس التراثي وفهم مقاصد علماء العربية، كما جدد في فهم النظريات الحديثة وتطبيقها على العربية وعدم التسرع في أخذها.

• الخطاب اللساني الجزائري خطاب ثري بمرجعياته المعرفية واللغوية والمنهجية وأهدافه، فقد ساهمت كلها في صياغة نمط مميز من الكتابة اللسانية، تجلّى الإبداع فيها ضمن ما ناقشه الخطاب من مواضيع وما اتخذه من مناهج وتجسد أكثر في المصطلحات التي اعتمدها، حتى استقرت شكلا بحثيا مميزا ضمن مدرسة لسانية جزائرية فرضت اسمها في فضاء البحث اللساني من خلال مظاهر الابداع والاجادة،

• الخطاب اللساني الجزائري وليد تلاقي الثقافتين العربية التراثية والغربية الحديثة، لا هو بالمتعصب للقديم، ولا بالمنبهر بالحديث اللاهت خلفه

• الخطاب اللساني الجزائري يشكل مرحلة الوع الفعلية، التي تجاوز فيها البحث استيراد الأفكار إلى إنتاجها.

• تنوعت المواضيع المناقشة ضمن الخطاب اللساني وجاوزت الحدود الزمانية والأيدولوجية إلى كل ما يتصل بالظاهرة اللغوية.

• الكتابة اللسانية الجزائرية تتسم بالتطور والديناميكية فهي مواكبة لجديد التيارات اللسانية في العالم.

• إن تنوع المناهج المعتمدة ضمن الخطاب اللساني جعلت البحث يتجاوز فكرة أزمة المناهج إلى تكامل المناهج فقد اختص كل منهج بزوايا معينة من البحث لتتشكل في الأخير رؤى متكاملة وإحاطة شاملة لمواضيع البحث.

• الخطاب اللساني الجزائري يتجاوز البحث اللغوي الخاص الذي يهتم باللغة العربية ولهجاتها فقط بل يتجه إلى فهم شامل للغة الإنسانية ضمن فلسفة اللغة.

• ينبغي التنبيه إلى نقطة مهمة ، إن تنوع اتجاهات

من المصطلحات المنحوتة عند الدكتور مرتاض نجد :
الفقلمنة المنحوتة من فقه اللغة، والعلمنة المنحوتة من علم اللغة (في مناهج البحث اللغوي ص20)، الميتالسانية والتي تعني فوق اللغوية ومن الترجمة نجد مصطلحات: مرسلّة والتي تعني message (مرتاض، 2003، صفحة 24)

ومما عرّبه الدكتور عبد الجليل السانتاكس وهو ما يقابل النحو في الفكر العربي (مرتاض، 2003، صفحة 113).

ج - التأكد من سلامة المصطلحات وتصحيحها:

خاصة تلك المترجمة أو المستوحاة من التراث دون تمحيص وتتبع دقيق لمعناها مثل " اللغة" فطالما كانت اللغة ترجمة لمصطلح "la langue" الذي هو في الحقيقة "اللسان" لكن يؤكد د عبد الرحمان حاج صالح كما عبد الجليل مرتاض أن اللغة هي ترجمة، (مرتاض، 2003، صفحة 16) " le langage" (مرتاض ع.، 2003)، ولعل أهم مصطلح كان الفضل في ضبطه للسانين الجزائريين هو "اللسانيات" للدكتور عبد الرحمان حاج صالح وقد لاقى هذا المصطلح قبولا واستحسانا بين الاوساط اللسانية لدقته وسهولته

الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية المصطلحان اللذان شهدا خلطا كبيرا في الاستعمال العام والمتخصص حتى ضبط عبد الرحمن حاج صالح استعمالهما وهذا الأمر الذي يشيد به مازن الوعر (الوعر، 1988، صفحة 202) تلميذ عبد الرحمان حاج صالح هذا ما يبين تأثير أفكار عبد الرحمان حاج صالح وامتدادها خارج الجزائر

د . وضع المصطلح:

واشتهر عبد الرحمان حاج صالح بوضع المصطلح انطلاقا من استقراء التراث العربي لغة ودرسا ومن اهم ما وضعه من مصطلحات عرفت طريقها للاعتماد في البحث اللغوي الانغماس اللغوي الذي اخترع عبد الرحمان حاج صالح مقابلة للمصطلح الأجنبي bain linguistique، ومنها أيضا اللسانيات في مقابل linguistique، البنيوية في مقابل (بعوش، دت، صفحة 15) structuralisme

4. قيمة الخطاب اللساني الجزائري :

مختلف جامعات الوطن ، خاصة بعد انفتاح الجامعة على العالم عبر الوسائط الرقمية ومنصات البحث والمجلات وتشجيع الاستشهادات العلمية بكل الجهود السابقة .

الخطاب اللساني الجزائري وإن كان مظهرًا محمودًا معرفيًا لكنه يوحى بشكل مألوف بفرق الجهود المبذولة في مسارات لا تحدم اللغة العربية والبحث فيها ، فغياب الجهود الجامعة حول فكرة واضحة وتخطيط واضح يحول دون إنشاء مدرسة لسانية متوازنة في ظل تفرق الجهود وفردانية البحث ونأي كل طرف بما له ، ومهما يكن الأمر فقد لاحظنا استفاقة متأخرة لتثمين هذه الجهود من خلال سلسلة الملتقيات المثمنة لها في

4. خاتمة

فرضت البحوث اللسانية الجزائرية نفسها ضمن نظيراتها العربية من خلال قيمة ما قدمته، فقد شكّلت الأقاليم اللسانية الجزائرية نموذجًا متنوعًا في اتجاهاته، مجددًا في مناهجه ومصطلحاته وموضوعاته، محافظًا على التراث في غير جمود، حداثيًا في غير انسلاخ، فكانت الأقاليم الجزائرية واعية بقيمة التراث الحضاري وعاملة على تطويره في غير إخلال به، وهو ما نصفه بالإبداع الذي ينطلق من التراث ويعود إليه بكل جديد مفيد، فقد أثبتت هذه البحوث فاعلية في التعامل مع مصادر المعرفة الأصلية العربية منها أو الغربية والاستفادة منها.

إن ما قدمه ويقدمه المشتغلون باللسانيات في الجزائر ضمن الإطار المغربي استطاع في فترة قصيرة أن ينتقل من مرحلة التلقي إلى مرحلة التأثير وأن يصنع مدرسة لسانية نقدية خاصة لها أتباعها في الوطن العربي.

5. قائمة المراجع:

1. عبد الجليل مرتاض. (2003). مباحث لغوية في ضوء الفكر اللساني الحديث. منشورات ثالة .
2. إسماعيل حافظ علوي. (2009). اللسانيات في الثقافة العربية: دراسة تحليلية في قضايا التلقي وإشكالاتها (المجلد 1). بيروت- لبنان: دار الكتاب الجديد.
3. بشير إبرير. (2001). الخطاب اللساني العربي بين التراث والحداثة. مجلة الرافد، ع 47، دائرة الثقافة والاعلام ، الشارقة ، الإمارات ،

4. بن يطو بن عمران . جويلية، 2021). المصطلح النحوي التراثي العربي ومدى توظيفه في الدرس اللساني العربي الحديث. مجلة رفوف مخبر المخطوطات، مجلد 09، ع 2، من 98 إلى 111
5. بوجمعة الأخضر. (1987). التفكير اللساني العربي القديم تساؤلات حول إعادة القراءة قضايا المنهج في اللغة والأدب (المجلد 1). الدار البيضاء: دار تويقا للنشر الدار البيضاء.
6. حسام البهنساوي. (1994). أهمية الربط بين التفكير اللغوي عند العرب ونظريات البحث اللغوي الحديث. القاهرة- مصر: مكتبة الثقافة الدينية.
7. عبد الرحمان حاج صالح. (2002). بحوث ودراسات في علوم اللسان. منشورات مجمع اللغة العربية موفم للنشر والتوزيع.
8. عبد السلام المسدي. (1 أبريل، 1979). الفكر العربي والألسنية. مجلة أقلام ، ع 4، من 3 إلى 23 .
9. عبد الجليل مرتاض. (2003). في مناهج البحث اللغوي. الجزائر: دار القصبة للنشر والتوزيع.
10. عبد الرحمان حاج صالح. (2013). الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية. الجزائر : منشورات مجمع اللغة العربية موفم للنشر .
11. علي بعبوش. جهود عبد الرحمان صالح في إحياء المصطلح واستعماله. مجلة علوم اللغة العربية وآدابه، مجلد 12، ع 02 ، 15 سبتمبر ، 2020 الجزائر، صفحات من 1144 إلى 1162

12. فاطمة بكوش. (2004). الدرس اللساني العربي الحديث (المجلد 1). مصر: إيتراك للنشر والتوزيع.
13. مازن الوعر. (1988). قضايا أساسية في علم اللسانيات الحديثة (المجلد 1). دمشق: دار طلاس .
14. محمد يحياتن. دور معهد العلوم الصوتية واللسانية في ترقية اللغة العربية (1964- 1986). مجلة اللغة العربية، المجلد 2005، ع 13، 30 جوان 2005م، الصفحات 159-168، الناشر المجلس الأعلى للغة العربية الجزائر